



بقلم: كارل كراوس

كراونة لصهيون *

مقدمة المترجم **

عشر، وعلى الرغم من أنه ينتمي للديانة اليهودية، كان مُعاديًا لتحول الديانة اليهودية إلى «قومية» على النمط الصهيوني، وكان ناقداً عنيفاً لأوجه القصور في كل الأيديولوجيات القومية، بما فيها القومية النمساوية-الألمانية واليهودية.

النص الحالي، بعنوان كراونة لصهيون (A Crown for Zion) هو مقال كتبه كراوس بعد عام واحد من المؤتمر الصهيوني الأول في بازل الذي انعقد عام ١٨٩٧، حين بدأ ثيودور هرتسل يروج لفكرة «الدولة اليهودية». اعتبر كراوس الصهيونية نوعاً من «اللاسامية

يُعدّ كارل كراوس (١٨٧٤-١٩٣٦) أحد أبرز الكتّاب والساخرين اليهود النمساويين في مطلع القرن العشرين، وعُرف بنقده اللاذع للمجتمع البرجوازي، الصحافة، القومية، الصهيونية، والسياسة واللغة. ولد كراوس في بيتشين (جمهورية التشيك اليوم) لعائلة يهودية ثرية، انتقلت لاحقاً للعيش والإقامة في فيينا، وقد نشأ هناك في ظل مناخ ثقافي حاد ومتنوع، وصار جزءاً من المشهد الأدبي-السياسي المتوتر في نهاية القرن التاسع

* العنوان الأصلي هو Eine Krone für Zion (أي «كراونة لصهيون»)، وفيه تلاعب بالألفاظ؛ إذ تعني كلمة Krone كلاً من «تاج» و«عملة النمسا-المجر» في الفترة من ١٨٩٢ إلى ١٩١٨؛ وكانت كراونة واحدة الحد الأدنى للتبرع المطلوب للمشاركة في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل (سويسرا).

** ترجمة عبد القادر بدوي الباحث في المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية-مدار، وحاصل على درجة الماجستير في الدراسات الإسرائيلية من جامعة بيرزيت.

باختصار، أكد كراوس من خلال أسلوبه النقدي الساخر المشبع بالاستعارات والتهمك على أن الصهيونية لا تمثل خلاصاً لليهود، بل هي فخ جديد لهم يغويهم بآمال زائفة، معتبراً أن المشروع الجديد («الدولة اليهودية») من شأنه إعادة إنتاج الغيتو بوسائل حديثة، وتعزيز عزلة اليهود بدلاً من تحريرهم.

والتهمك على أن الصهيونية لا تمثل خلاصاً لليهود، بل هي فخ جديد لهم يغويهم بآمال زائفة، معتبراً أن المشروع الجديد («الدولة اليهودية») من شأنه إعادة إنتاج الغيتو بوسائل حديثة، وتعزيز عزلة اليهود بدلاً من تحريرهم.

في ما يلي الترجمة

منذ وقت ليس ببعيد، طلب مني أحد السادة الذين يتظاهرون اليوم بأنهم المدافعون التاريخيون عن الشعب اليهودي، ويوجهون أنظارهم الغربية نحو شروق الشمس، ويحرضون على عودة جميع اليهود الباقين إلى وطن فلسطين، أن أساهم بمبلغ صغير في تلك القضايا التي تُسمى صهيونية أو، باستخدام كلمة قديمة جيدة، معاداة للسامية. بدا لي ذلك مشابهاً للإجراء الذي اقترحه مؤخراً السيد شنيدر¹ في برلمان النمسا السفلى. في البداية اعتقدت حقاً أن جامع التبرعات الودود، بوصفه المنفذ النهائي للإرادة المسيحية-الاجتماعية² - وليس، كما يعتقد، [كمنفذ لإرادة] العهد القديم - سيحصل على المال الشهير المخصص لـ «إطلاق النار على اليهود». لكن سرعان ما جرى إفهامي أن معاداة السامية، كما يروج لها الصهاينة، تمتنع في الوقت الحاضر عن مثل هذه الإجراءات الهمجية وتكتفي بجمع الأموال اللازمة للطرد البسيط لليهود.

كنت قد أُخبرت سابقاً بأن عضو البرلمان شنيدر كان متعاطفاً بإخلاص مع مساعي الصهاينة، على الرغم من أنهم يهود؛ لكنه فقط أصبح غير صبور في ضوء عدم نجاح المساعدات الصهيونية حتى الآن، وأخيراً، كما يثبت اقتراحه في برلمان النمسا السفلى، تناول المسألة بنفسه بحماس. ومنذ ذلك الحين، يُقال إن هناك درجة معينة من الخلاف بين الصهاينة والمسيحيين-الاجتماعيين؛ فالأولون اضطروا لتحمل اتهامات بالفاتور،

المقنعة»، حيث رأى فيها مشروعاً يسعى إلى طرد اليهود من أوروبا- كما يفعل المعادين للسامية- وتجميعهم في «غيتو قومي» جديد في فلسطين.

شبه كراوس الصهاينة بـ «جباة ضرائب» يسعون إلى أن يصبحوا «وزراء مالية الدولة اليهودية» عبر بطاقات دخول إلى «الغيتو الجديد»، موجّهاً نقداً لاذعاً لفكرة «التبرع بالشيك» للمشاركة في مؤتمرات الصهيونية، معتبراً هذا الأمر شكلاً من الاحتيال السياسي الذي يوهم اليهود بوعد كاذب، إذ رأى أن الصهيونية تستبطن خطاب العداة لليهود وتنفيذ مشروعاً يلطم به أعداء اليهود: «التخلص منهم سياسياً وثقافياً في أوروبا»، واصفاً إياها بـ «اللاسامية اليهودية» كونها تدعو إلى الإقصاء الطوعي لليهود من أوروبا. لم يكن هذا الموقف منفصلاً عن أفكار كراوس حول القومية والاندماج؛ إذ أنه كان يشيد بمرونة اليهود الثقافية وتكيفهم عبر العصور المختلفة، وأن الاندماج في المجتمعات الأوروبية أفضل من الانكفاء القومي، منتقداً ما وصفه بـ «التحنيط القومي» الذي كانت تسعى إليه الصهيونية عبر إعادة إنتاج مظاهر الغيتو: الملابس، اللغة والطقوس وغيرها، كما أنه شبه الحماس الصهيوني بـ «هذيان مسياني» لا يحمل أي إصلاح اجتماعي حقيقي، مشدداً أن الحل لقضية يهود أوروبا الشرقية يكمن في إجراء إصلاح اجتماعي شامل في مكانتهم، وليس بتهجيرهم إلى فلسطين، منتقداً بذلك، وبأسلوبه الساخر، تحول ثيودور هرتسل من كاتب مرهف إلى دماغوجي قومي يبيع الوهم، كما سخر من ماكس نورداو الذي لطالما لعب دور «الطبيب الثقافي» ثم أصبح رئيساً للمؤتمر الصهيوني، وهو ما يؤكّد على نفاق المشروع (مشروع الصهيونية) التي تتطابق شعاراتها مثل: «نعم، سنغادر!» مع شعارات المعادين للسامية: «أخرجوا أيها اليهود». باختصار، أكد كراوس من خلال أسلوبه النقدي الساخر المشبع بالاستعارات

إذا كان المرء يطمح إلى غايات أرفع، فإن الأموال التي تُجمع الآن لأغراض صهيونية تكفي بالتأكيد للحصول على تعليم لائق. ولن يتعين على السادة إلا أن يقرروا التوقف عن مساعدة الأرستقراطية البولندية، التي يُعد العداء للسامية مصدرها الوحيد للتمويل.

انتماء حزبي، وإنما «يمنحني فقط الحق في المشاركة في انتخاب المندوبين للمؤتمر القادم وتلقي الإشعارات التي سيصدرها مكتب المؤتمر». وبما أن هذا الحق لم يبد لي ثقیلاً بشكل خاص، ولأنني لم أر سبباً لإنكار تعاطفي مع غرض ضار لن يتحقق أبداً، وبما أنني، بعد الفشل المحتمل للفكرة الصهيونية، كنت أتوقع تعويضاً مادياً للبروليتاريا البولندية المخدوعة كالتنهاية الوحيدة الممكنة والمحمودة لكل هذه الضجة، لم يكن التبرع المالي بروح تلك الصدقة الإنسانية التي هي عدو للصهيونية أمراً غير مناسب في نظري. وبعد كل شيء، لماذا ينبغي أن أرفض معروفاً رخيصاً لزميل يتجول بدفتر أوراق قابلة للتمزيق ويريد أن يصبح وزير مالية الدولة اليهودية عبر نشر أكبر عدد ممكن من تلك الرقع الصفراء الصغيرة التي تخول دخول الغيتو الجديد؟ مع ذلك، لم أوافق على دفع الشيك إلا بعد جميع أنواع الاعتراضات وضد الوعد الصريح بأنني لن أعتصب أبداً لصالح الإيمان الجديد. فعلت ذلك بحكمة، لكنه لم ينفذ. إن قوة الوعد الصهيوني مُلزمة إلى حدٍّ أنه حتى أولئك الذين يرغبون في التملص منه يمكنهم أن يقرأوا أسماءهم بعد وقت قصير في قائمة مطبوعة لرفاق الحزب.

[...]

ليس هذا هو المقام، وربما يكون الأمر زائداً عن الحاجة، للدفاع عن عقيدة الاندماج في مواجهة هجمات القوميين اليهود، أو لمضاهاة قابلية «القبيلة اليهودية» للتكيف بجمود العقول الصهيونية. لكنني أود أن أنصح أولئك السادة الذين لم يجربوا بعد ذلك على أنفسهم أن يشعروا أخيراً بالمحاولة. فالصهيوني العنيد يمكن تدمينه بسهولة ليصبح أوروبياً في بضع سنوات فقط. إن الإيمان الراسخ بقابلية الطبع اليهودي للتكيف هو أفضل أشكال الأرثوذكسية؛ وليكن أولاً عقيدة الآباء.

في حين أن الآخرين أتهموا مراراً وتكراراً بانتهاك الرابط المشترك. بالإضافة إلى ذلك، عرضت مسرحية بعنوان «الغيتو الجديد»، والتي وإن قدّمت مجتمعاً يهودياً فاسداً بالكامل، فقد خيّبت الآمال برفعها غير المتوقع لشخصية يهودي واحد نبيل الفكر، وهو ما حرم مؤلفها من تعاطف الأوساط المعادية لليهود ذات النفوذ. لكن هذه المناوشات بدت وكأنها لا تؤدي إلا إلى إضعاف كلا الطرفين، اللذين تبين سريعاً أنهما يعتمدان أحدهما على الآخر. غير أن المعادين للسامية، الذين لم يكن في وسعهم فعل شيء من دون تدقيق الصهاينة، كانوا أول من تضرر من هذا الشرخ. وسرعان ما خبت الدعاية المسيحية-الاجتماعية، ومع احتدام المعارك البرلمانية التي استنزفت طاقة الأحزاب كلها، أمكن للمرء أن يتمنى أن يكون حتى أكثر عوام فيينا انحطاطاً قد تجاوزوا في المستقبل القريب أشد أشكال معاداة السامية غياباً. ولم تُحى المصالحة التي كان يتوق إليها كلا المعسكرين في السر سوى بضعة مقالات ظهرت في الصحيفة الصهيونية الرئيسية، ولا سيما المقال المعنون «ماوشل»²، إذ نقل هتاف «إلى الخارج أيها اليهود!» من معسكر الطلاب اليهود-القوميين إلى تلك الأوساط التي كان خمولها السياسي الدائم مهياً لتلقي مثل هذا الشعار المريح. وسرعان ما شوهد «اليهود المعادون لليهود» يسرون مجدداً نحو الهدف المشترك بحماسة لم تُسمع من قبل في صفوف المعادين للسامية من «الآريين».

استناداً إلى مثال العديد من الشخصيات الأدبية التي لم تنتم إلى الحزب الصهيوني، طلب مني جامع التبرعات السودود في إيشل³ أن أقدم مساهمتي لصندوق الهجرة في شهر أيلول. وقد سمى المبلغ المطلوب «شيك»، لكنه أكد لي أنه، على الرغم من الاسم التوراتي غير المعتاد، فإن هذه التبرع لا يلزمني بأي

حتى الآن ظل اليهود مبعثرين في كل أرجاء العالم؛ وكذلك المسيحيون - الذين نسوا لبعض الوقت أن اليهود مواطنون. مع ذلك، أعتقد أن المسيحيين، إذا أُتيح لهم الوقت الكافي، سينجحون في التخلي عن هذا النسيان مع بزوغ وعي ثقافي جديد. وعندها سيكون بوسع السادة في بازل، الذين تجرؤوا على محاولة كسر مسار التاريخ لشعبه بأكمله على زكبهم، أن يكتفوا على الأقل بالمساهمة في تجديد فن الأوبريت.

على تعليم لائق. ولن يتعيّن على السادة إلا أن يقرروا التوقف عن مساعدة الأرستقراطية البولندية، التي يُعدّ العداء للسامية مصدرها الوحيد للتمويل. ومع عزل تام عن التأثيرات الأرثوذكسية، والتخلي الكامل عن بعض الأحكام الموروثة في اللباس وتسريحات الشعر التي تجاوزتها الموضة منذ زمن بعيد، يبدو لي أن فكرة الاستيطان النهائي في وطن واحد أقل طوباوية بكثير من «العلاج الجذري» القائم على الهجرة الجماعية. لكن لا بد أن تُقدّم لنا دوافع مقنعة لمثل هذا المشروع، كتلك التي ساقها مؤخرًا الجانب الصهيوني الرسمي: فقد قيل لنا إن الحكومات كانت قاسية إلى درجة أنها مدّت قانون عطلة الأحد ليشمل العمال اليهود. وهؤلاء، لحرصهم على عدم التخلي عن الالتزام بالسبت، صاروا يواجهون يومين من البطالة أسبوعيًا، مما يعني أنهم سيهلكون بؤسًا في أوروبا. أما في فلسطين - وهكذا تنتهي السلسلة المنطقية للصهيونية - فلن ينتظرهم بالطبع أي إكراه على عطلة الأحد.

من المؤسف محاولة مواجهة قوة الدليل التي لا تُقاوم باعتراضات هرطقية. فالباثوس الصهيوني القائم على الاستسلام، والذي تجدد في بازل أمام علم يهودي يُعدّ بالتحقق، يتغلب على كل العقبات التي قد تضعها في طريقه العقلانية والواقع. وسيتدفق المزيد من الشواكل إلى الصندوق القومي قبل أن يشرق الوعي الأكثر عقلانية لدى السلطات بأن معاناة العالم لا تحتاج إلى «اختصاصيين»، وأن كل ما يضهدنا ليس سوى اشتراكية تائهة، محكوم عليها أن تعود إلى ذاتها قبل أن يعود اليهود إلى فلسطين. أفلا يكون من الممكن إصلاح الثقافة الأوروبية بسرعة أكبر من تأسيس ثقافة قومية يهودية؟ حتى الآن ظل اليهود مبعثرين في كل أرجاء العالم؛ وكذلك المسيحيون - الذين نسوا لبعض الوقت أن اليهود مواطنون. مع ذلك، أعتقد أن المسيحيين، إذا

إن قُدّر له أن يندمج اندماجًا لا فكاك منه مع جميع الثقافات المحيطة، وأن يظلّ مع ذلك خميرة حيّة، وهو ما يجعله أقوى من مروّجيه المتحمّسين أكثر مما ينبغي. وليس اليهودي نفسه هو من اختاره العداء للسامية موضوعًا للصراع، بل الظروف المحيطة به. فالمسألة لا تعدو كونها بعض المظاهر الخارجية التي صاغها سياق الغيتو، والتي يودّ مثيرو الضوضاء الحفاظ عليها بوصفها أقدس المقدسات في وعيهم الكاريكاتوري ب«رسالته». لكن اليهودية ستضطر إلى التضحية بها، ولن يكون من الصعب حرمان خصومها من هذه الأدوات المادية القليلة المتاحة لهم. سمعتُ مؤخرًا أحد السادة النافدين صبرًا من تارنوبول يتأوّه في اجتماع صهيوني قائلاً: «لن يحطمونا!» وأعتقد أنّ المسألة اليهودية كلها معلقة على هذا الحرف «الواو» المدودة في صحته. فبين النداء «تقدّموا وامضوا قدمًا» وبين التهيدة المستسلمة «لن يحطمونا» لا أرى إلا سوء فهم طفيفًا من طبيعة جدلية بحثة...

إن مركز ثقل الدعاية الصهيونية يقع بطبيعة الحال في غاليسيا؛ فإذا تخلّلت أخيرًا عن دعم «الاندماجين الجبناء» في الغرب الأوروبي، فإن الخطة الرامية إلى إزالة اليهود البولنديين تجعل الكم الهائل من المشاعر التي أثارها المشروع الصهيوني يبدو في غير موضعه تمامًا. فعندما يكون الحديث عن مشروع استيطاني بسيط، لا حاجة لنشوة مسيانية. وليت الذين يتسوا من إمكانية حل المسألة اليهودية الشرقية في موطنها أن يصادقوا هذا الحل. ويبدو لي أن أوجاع بازل^٦ يمكن علاجها من نقطة واحدة، وأكاد أجزم أنه إذا غولج الأمر بمنهجية فلن يتطلب أكثر من جيلين لتحويل مدرسة ابتدائية يهودية في غاليسيا إلى نار للنبلء. وإذا كان المرء يطمح إلى غايات أرفع، فإن الأموال التي تُجمع الآن لأغراض صهيونية تكفي بالتأكيد للحصول

ينزعج بعض السادة من جمود محيطهم؛ نفوس منظمة بدقة، ملّت النجاحات المبكرة التي منحتمهم الموهبة والحظ بوفرة، وأصبحوا بحاجة ماسة إلى غاية جديدة أكثر جدية في حياتهم. ولا شك أن هذا يتطلب مشاركة الجمهور. وقد يساور المرء القلق إزاء تطور الدكتور تيودور هرتسل، أبرع كتاب النثر الفيئييين الشباب.

لا أرغب في أن أثير الشبهة بأنني أتحدث كمدافع عن أولئك المندمجين الذين، إذ لم يعودوا قادرين على إقامة أي صلة قومية بين بيئتهم وغاليسيا، ولأنهم - وبحق - يتمردون على مضايقات الصهاينة، راحوا يوجهون غطرستهم الاجتماعية المكتشفة حديثاً ضد أبناء جلدتهم الذين تركوا في سفوح البؤس وعدم الثقافة. ولا يخطر ببالي أن أنضم إلى ذلك الصوت الهمسي المألوف من الإعجاب الوقور الذي يسري في أوساط يهود الطبقات الدنيا كلما ذُكر اسم إحدى السلالات اليهودية الكبرى.

لقد وجد الأبناء فراغاً داخلياً وأرستقراطية من الأظافر المصقولة مع رفاقهم الرياضيين «الآريين»، ولم يعد يمكن تمييزهم عنهم إلا بفرط الحماسة التي يُبرزون بها هذا التشابه. إنهم يمثلون النموذج الكامل لليهودي الإقطاعي، المنفصل عن المجتمع البرجوازي المتأنق وعن اليهودي البسيط في القفطان بفوارق طبقية لا نهائية. أعرف شخصاً لا يظهر الآن في مقهاه التقليدي - أو بالأحرى مقهاه الوراثة - إلا وهو ينتعل حذاءً مدعماً بالحديد كي يوحي بأنه على صهوة حصان. أما الحصان ذاته، فلا بد أنه ترك في مكان ما في العصور الوسطى. ومما لا شك فيه أن هذه الأسرة كانت فخورة آنذاك، ولا بد أنها انحدرت في وقت لاحق إلى حد ما؛ إذ إن أحد الفصول المظلمة في نسب هذه العائلة يكمن في أن جدّ السلف الحالي حاول فجأةً حظه في تجارة جلود الأرناب. ومع ذلك، فإن ذاكرة الوريث المجلجل بمهارجه لا تعود في أحسن الأحوال إلى ما قبل القرون الوسطى...

لقد أصبحت إيشل في الآونة الأخيرة محطة عبور شائعة للباحثين «العرقين» الصهاينة، الذين يرغبون في حمل آخر تجاربهم أو خيبات أملهم معهم في طريقهم إلى بازل. أما الصهيووني الوحيد الذي تمكن من البقاء

أُتيح لهم الوقت الكافي، سينجحون في التخلي عن هذا النسيان مع بزوغ وعي ثقافي جديد. وعندها سيكون بوسع السادة في بازل، الذين تجرؤوا على محاولة كسر مسار التاريخ لشعبه بأكمله على رُكبهم، أن يكتبوا على الأقل بالمساهمة في تجديد فن الأوبريت.

على أي حال، أتصور أن الوقت لا يزال بعيداً حين يصبح ذكر «تاج» يُتبرع به لأغراض صهيونية كافياً لاستدعاء صفات «مملكة صهيون» إلى الذهن تلقائياً. فأوركسترا أوفنباخ، التي تعزف النداء الملحّ: «إلى كريت!»، هي - كما هو معلوم - لا تعرف خطة ولا مساراً محدداً. فليتحلّ الصحافيون الذين يبرقون بأخبار واعدة من بازل إلى عالم غير مبالٍ ببعض الصير، وليكفوا عن التجول بوجوه تشبه وجوه مراسلين حضروا «مذبحة بيت لحم»^أ. إن لعبة الأمم قد تستمر بعض الوقت بعد، وإلى جانب الداعمين السياسيين لـ«موسيقى القلاع»، قد يواصل ذلك اليهودي المصطنع المتحمّس، الذي يتبجح بامتلاكه حقاً ما في الاضطهاد، وضع الأشهر الأخيرة من القرن في موضعها. لكن إن كان الصهاينة ومعادو السامية يتشاركون رؤيةً للعالم هي في الأصل رؤية فقيرة، فلا بد أن نهايتها قريبة.

يبدو الأمر سطحيًا للغاية وسهل الاستغلال بأبسط الحجج، حتى ليخجل المرء من إظهار معارضة مشددة له. فأبعد العبارات الإنسانية يمكنها أن تستعيد مظهر الأصالة المغربية في مواجهة النزعات الغيتوية. غير أنه، حتى إذا تجاهلنا كل إمكانات الخطر السياسي، فإن اللذوق السليم الحق في الاعتراض على حقيقة أن الثراء الفكري، الذي يصرخ منه البقال السكير في حي هرنالز بفيينا: «أخرجوا أيها اليهود!»، يُعاد ترديده ببساطة في الصهيوونية، وأن الجواب: «نعم، أخرجوا نحن اليهود!» لا يقدم سوى قدر ضئيل من التنويع، باستثناء نبرة أكثر وقاراً.

هنا فترة أطول، فقد ربطته بتراب إيشل اعتبارات مهنية؛ إذ كان طبيب أسنان، ولم يعيش إلا في أفكار «وجع الأسنان الألفي» لليهودية...

أما المقهى الودود القائم على الكورنيش فيبدو وكأنه المحطة الأخيرة لتناول وجبة خفيفة قبل الرحيل النهائي. غير أنّ نظرة متأنية تكشف أن نماذج الأصاله في الاستقرار قد اجتمعت هنا؛ نماذج من شأنها أن تُربك حتى أكثر المعادين للصهيونية عنادًا: أناس لا يريدون أن يكون لهم شأن بأي إزعاج لسكينتهم المضمونة من قبل النائب نوسكه،^١ ومع ذلك لا يزالون يقاومون بشراسة أي محاولة للاندماج ولو مؤقتًا. يبدو أن الطبيعة قد أظهرت قدرة أفضل على التكيف. فعندما خرجت مؤخرًا، استطعت أن ألاحظ كيف اكتسبت مع مرور الوقت عادات الزوار اليوميين. سمعت جدولاً صغيراً يتمم، وحين ناديت في الغابة مدهوشًا، أجنبي الصدى بسؤال...

كما ترون، فإنّ تغييراً صغيراً في الطبيعة لا يعني شيئاً مقارنة بالخراب الذي قد يكون سببه ثلاثمائة مندوب في الريف السويسري. يجب الدفاع عن كل أولئك الذين لم يستجيبوا لنداء بازل ضد هؤلاء. تعالوا إليّ جميعاً - هكذا أود أن أقول لهم - يا من أنتم متعبون مثقلون؛ انفضوا العبوس عن جباهكم، ولا تدعوا الوعود الصهيونية بمستقبل أفضل تكدر قلوبكم! لا تنظروا بشوق إلى الأرض التي يريدون أن يقودوكم إليها - فهذه هي أرض عوز^١ وهكذا أرغب في أن أخطب الناس الذين يعيشون على كورنيش إيشل، في أرض العبودية، التي تجري فيها مياه التراون، وتُفرض فيها ضريبة سياحية باهظة...

لكن هذا التحذير لا يتوجه فقط إلى أهل إيشل،

أولئك المستقرون الذين لا تهزهم إلا دفعة اجتماعية؛ بل هو موجّه - وبمهر أكبر وبمحبة أكثر - إلى الذين لا يملكون ما يخسرونه، سوى أمل خادع في أحسن الأحوال. فالطبقات المالكة، من اليهود الإقطاعيين والبرجوازيين على حد سواء، ستستجيب للنداء الصهيوني بابتسامة عريضة، بينما يوقد في قلوب بروليتاريا غاليسيا المرهقة جمرًا خبيثًا، إن الشوق لا يدفئ إلا ما دامت الجهالة بالحقائق قائمة؛ فخلق «سراب» (Fata Morgana) ليس إصلاحاً اجتماعياً، بل خداعاً زائفاً، وللمسافر في الصحراء لا بد أن يطيل كل وهم مساره في طريق المعاناة، ومن الصعب توقع أن يدخل اليهود هذه المرة «الأرض الموعودة» بأقدام جافة؛ فبحر أحمر آخر - الديمقراطية الاجتماعية - سيعترض طريقهم إليها.

ينزعج بعض السادة من جمود محيطهم؛ نفوس منظمة بدقة، ملّت النجاحات المبكرة التي منحتهم الموهبة والحظ بوفرة، وأصبحوا بحاجة ماسة إلى غاية جديدة أكثر جدية في حياتهم. ولا شك أن هذا يتطلب مشاركة الجمهور. وقد يساور المرء القلق إزاء تطور الدكتور تيودور هرتسل، أبرع كُتّاب النثر الفيينيين الشباب. لكن الحقيقة أن مئات الآلاف - مجرد أنه كان بحاجة إلى الانتقال من «الفويتون» إلى المقالة الافتتاحية - قد خدعوا ببريق باطل، واضطروا للغرق من جديد في مصيرهم القديم بمضاعفة البؤس؛ لم يكن هذا بالتأكيد هو المسار الذي قدّره النظام الكوني. وأين هو السيد نورداو،^{١١} الطبيب الأدبي الكبير، الذي كان يظن دائماً أنه ملزم بأن يقيس نبض القرن المحتضر عند أدنى خلل في الزمن وبإلحاح نادر؟ آه، إنه رئيس المؤتمر الصهيوني!

- ١ إرنست شنايدر، سياسي نمساوي قال في برلمان النمسا السفلى إن الحكومة يجب أن تقدم مكافأة على إطلاق النار على اليهود مماثلة لتلك المقدمة على إطلاق النار على الذئاب.
- ٢ إرادة «المسيحية-الاجتماعية» في حينها كانت تعبيراً سياسياً وأخلاقياً نشأ من الحركات المسيحية-الاجتماعية في أوروبا الوسطى، خصوصاً النمسا وألمانيا. عُدت هذه الإرادة تجسيداً لعزم جماعي يرمي إلى تنظيم الدولة والمجتمع وفق مبادئ أخلاقية مسيحية، في مواجهة الليبرالية العلمانية والاشتراكية الماركسية، وغالباً ما ارتبطت بخطاب شعبي محافظ ونزعات معادية لليهود.
- ٣ تيودور هرتسل، «ماوشيل»، صحيفة دي فيلت، ١٥ تشرين الأول ١٨٩٧. انظر: <https://www.panarchy.org/palestine/mauschel.html>
- ٤ مدينة في النمسا.
- ٥ تارنوبول (الآن تيرنوبل) هي مدينة في غرب أوكرانيا.
- ٦ غاليسيا هي منطقة تاريخية وجغرافية تمتد على ما يُعرف الآن بجنوب شرق بولندا وغرب أوكرانيا.
- ٧ عُقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في الفترة من ٢٩ إلى ٣١ آب ١٨٩٧. حضر الحدث ٢٠٨ مندوبين و٢٦ مراسلاً صحافياً. وقد دُعي إلى عقده وترأسه تيودور هرتسل، مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة.
- ٨ الإشارة هنا إلى قتل المواليد الجدد بأمر هيروُدس في بيت لحم والمناطق المحيطة بها، كما ورد في إنجيل متى.
- ٩ غوستاف نوسكه (١٨٦٨-١٩٤٦) كان سياسياً ألمانياً، وأحد الأعضاء البارزين في الحزب الديمقراطي الاجتماعي الألماني. أصبح مشهوراً، بمعنى سلبي، لاستخدامه الجيش والقوات شبه العسكرية لقمع انتفاضة الاشتراكيين/الشيوعيين عام ١٩١٩، والتي أدت إلى مقتل نحو ١٦٥ شخصاً.
- ١٠ أرض عوز هي موقع مذكور مرات عدة في الكتاب المقدس العبري، وأبرزها في سفر أيوب الذي يبدأ: «كان إنسان في أرض عوز اسمه أيوب».
- ١١ ماكس نورداو (١٨٤٩-١٩٢٣) كان طبيباً وكاتب مقالات وناقداً اجتماعياً وقائداً صهيونياً. كان مؤسساً مشاركاً، مع تيودور هرتسل، للمنظمة الصهيونية، وشغل منصب رئيس أو نائب رئيس مؤتمرات صهيونية عدة.